درر رمضانية

من كلام ابن قيم الجوزية

جمع وترتيب
أحمد بن صالح بن عمر بن مرشد

دار الطلس الخضراء
للنشر والتوزيع

ح دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مرشد ، أحمد بن صالح بن عمر بن
درر رمضانية
أحمد بن صالح بن عمر بن مرشد - ط ١ - الرياض، ١٤٤٥ هـ
٦٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم (٥ ؛ ٠)

رقم الإيداع: ١٦٧٠٩/ ١٤٤٥
ردمك: ١-٩-٩٢٠٨٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية – الرياض

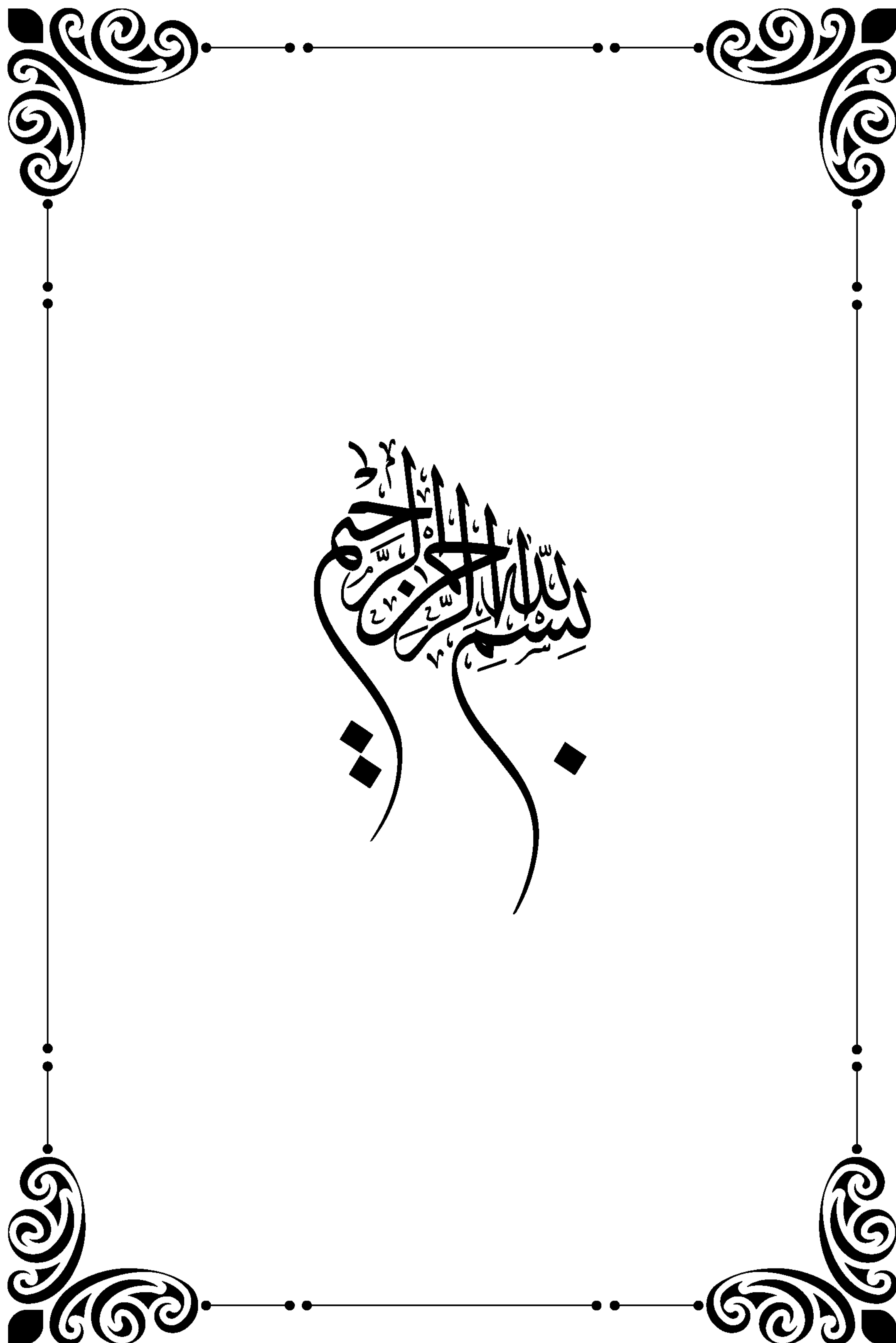
 ٠٠٩٦٦٥٤٤٨٩٦٦٥٤
 daratlas.sa
 @dar-atlas
 dar-atlas@hotmail.com

درر رمضانية

من كلام **ابن قيم الجوزية**

جمع وترتيب
أحمد بن صالح بن عمر بن مرشد

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد فهذه مجموعة مختارة من روائع ما سطره يراع الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه، اخترت منها ما يناسب ليالي وأيام شهر رمضان المبارك وجعلتها شاملة لأيام الشهر بعدته الكاملة ثلاثون موضوعاً وسميته (**درر رمضانية من كلام ابن قيم الجوزية**).

أسأل الله تعالى أن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً وأن ينفع به الجميع كما أساله تعالى أن يجزل الأجر والمثوبة للمحسن الكريم الذي تكفل بطباعته وأن يجعله صدقة جارية له ولوالديه إنه سميع قريب.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد بن صالح بن عمر بن مرشد

الرياض ١/ ٦/ ١٤٤٥هـ

بريد إلكتروني: ahmd577@gmail.com



قائمة المحتويات

(١)

اختيار شهر رمضان

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هـو المنفـرد بالخلـق والاختيـار مـن المخلوقـات، قـال الله تعالـىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ والوقـف التـام علىٰ قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ويكـون قولـه: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ نفيًـا أي ليـس هـذا الاختيـار لهـم بـل هـو إلىٰ الخالـق وحـده فكمـا أنـه المنفـرد بالخلـق فهـو المنفـرد بالاختيـار منـه فليس لأحـد أن يخلـق ولا أن يختـار سـواه فإنـه سبحانه أعلـم بمواقـع اختيـاره ومحـال رضـاه ومـا يصلـح للاختيـار ممـا لا يصلـح لـه، وغيـره لا يشـاركه في ذلك بوجـه.

وإذا تأملـت أحـوال هـذا الخلـق رأيـت هـذا الاختيـار والتخصيـص فيـه دالاً علـىٰ ربوبيتـه تعالـىٰ ووحدانيتـه وكمـال حكمتـه وعلمـه وقدرتـه وأنـه الله الـذي لا إلـه إلا هـو فـلا شـريك لـه يخلـق كخلقـه ويختـار كاختيـاره ويدبـر كتدبيـره.

فخلـق الله السـموات سبعا فاختـار العليـا منهـا فجعلهـا مستقر المقربيـن مـن ملائكتـه واختصهـا بالقـرب مـن كرسيه ومـن عرشـه وأسـكنها مـن شـاء مـن خلقـه.

ومـن هـذا تفضيلـه سبحانه جنة الفـردوس علىٰ سـائر الجنـان وتخصيصها بـأن جعـل عرشـه سـقفها ومـن هـذا اختيـاره مـن الملائكـة المصطفيـن منهـم

علىٰ سائرهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل، وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام.

ومن هذا اختياره سبحانه ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمداً ﷺ، وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين.. واختار أمته ﷺ علىٰ سائر الأمم، ومن هذا اختياره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اختاره لنبيه ﷺ وجعله مناسك لعباده، ومن هذا تفضيله بعض الأيام والشهور علىٰ بعض فخير الأيام عند الله يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر وكذلك تفضيل عشر ذي الحجة علىٰ غيره من الأيام فإن أيامه أفضل الأيام عند الله ومن ذلك تفضيل شهر رمضان علىٰ سائر الشهور وتفضيل عشره الأخير علىٰ سائر الليالي وتفضيل ليلة القدر علىٰ ألف شهر.

والمقصود أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره فإنه تعالىٰ طيب لا يحب إلا الطيب ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالىٰ.

(زاد المعاد) (١/٤٠)

(٢)

في هديه ﷺ في الصيام

لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه. فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارا لمحبة الله ومرضاته.

وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها،

واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال النبي ﷺ: «**الصوم جنة**».

وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وحمية لهم وجنة.

وكان هدي رسول الله ﷺ فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيل للمقصود، وأسهله على النفوس.

(زاد المعاد) (٢/٢٧)

(٣)

تدبـــر القـــرآن

التأمل في القرآن: تحديق ناظر القلب إلىٰ معانيه، وجمع الفكر علىٰ تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨] وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣].

وقال الحسن: نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا.

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر إلىٰ معاني آياته، فإنها تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلىٰ طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه

النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرىٰ: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها، وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد وبالجملة فهو أعظم الكنوز.

(مدارج السالكين) (٢/٣٤)

(٤)

الإنفاق في سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١].

شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله، سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر، بمن بذر بذرًا فأنبتت كل حبةٍ منه سبع سنابل اشتملت كل سنبلةٍ على مائة حبةٍ، والله يضاعف بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه وتقع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها؛ فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلبٍ ثابتٍ قد انشرح صدره بإخراجه، وسمحت به نفسه، وخرج من قلبه خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه، غير جزعٍ ولا هلعٍ ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه، وبحسب طيب المنفق وذكائه.

وتحت هذا المثل من الفقه:

أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره باذر ماله في أرضٍ زكية، مغلة بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي

ونفي الدغل والنبات الغريب عنه، فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم تحرق الزرع نار ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال.

وكان مثله كمثل جنةٍ بربوةٍ وهي المكان المرتفع الذي تكون الحبة فيه نصب الشمس والرياح فتربىٰ الأشجار هناك أتم تربيةٍ فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر متتابع فرواها ونماها فآتت أكلها ضعفي ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل، فإن لم يصبها وابل فطل: مطر صغير القدر، يكفيها لكرم منبتها تزكو علىٰ الطل وتنمي عليه، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارةً إلىٰ نوعي الإنفاق الكثير والقليل. فمن الناس من يكون إنفاقه وابلًا ومنهم من يكون إنفاقه طلا، والله لا يضيع مثقال ذرةٍ.

(أمثال القرآن) (٢٥٣)

(٥)

الصلاة التي تقر بها العين

الصلاة التي تقر بها العين ويستريح بها القلب هي التي تجمع ستة مشاهد:

المشهد الأول: الإخلاص وهو أن يكون الحامل عليها والداعي إليها رغبة العبد في الله، ومحبته له، وطلب مرضاته، والقرب منه، والتودد إليه، وامتثال أمره.

المشهد الثاني: مشهد الصدق والنصح، وهو أن يفرغ قلبه لله فيها، ويستفرغ جهده في إقباله فيها على الله، وجمع قلبه عليها، وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها ظاهراً وباطناً.

المشهد الثالث: مشهد المتابعة والاقتداء، وهو أن يحرص كل الحرص على الاقتداء في صلاته بالنبي ﷺ، ويصلي كما كان يصلي ويعرض عما أحدث الناس في الصلاة.

المشهد الرابع: مشهد الإحسان، وهو مشهد المراقبة وهو أن يعبد الله كأنه يراه وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب الحياء، والإجلال والتعظيم، والخشية، والمحبة، والإنابة، والتوكل، والخضوع لله سبحانه، والذل له، ويقطع الوساوس وحديث النفس، ويجمع القلب والهم على الله.

المشهد الخامس: مشهد المنة وهو أن يشهد أن المنة لله سبحانه، كونه أقامه في هذا المقام وَأَهَّلَهُ له ووفقه لقيام قلبه وبدنه في خدمته فلولا الله سبحانه لم يكن شيء من ذلك. وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد، وكلما كان العبد أعظم توحيداً كان حظه من هذا المشهد أتم، وفيه من الفوائد أنه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل ورؤيته. فإنه إذا شهد أن الله سبحانه هو المانُّ به الموفق له الهادي إليه شغله شهود ذلك عن رؤيته والإعجاب به.

المشهد السادس: مشهد التقصير وهو أن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد وبذل وسعه فهو مقصر، وحق الله سبحانه عليه أعظم... فإذا شهد العبد من نفسه أنه لم يوفِّ ربه في عبوديته حقه، ولا قريباً من حقه، علم تقصيره، ولم يسعه مع ذلك غير الاستغفار والاعتذار من تقصيره وتفريطه.

(رسالة من ابن القيم لأحد إخوانه) (٣٣)

(٦)

دعوة ذي النون

سمع رجل قارئًا يقرأ ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فقال: إنما نجي بهذه الكلمات لأنها تضمنت أربعة أشياء: التوحيد والتسبيح وهما لله، والاعتراف والاستغفار وهما للعبد فبالتوحيد يدخل علىٰ الله وهو وسيلته إليه ينزهه عما لا يليق به من أن يأخذه أو يعاقبه بغير جرم أو يكون في ملكه ما لم يسبق به قضاؤه وقدره ويتعلق بمشيئة وخلقه.

والاعتراف والاستغفار يطفئ غضب الرب عنه ويسكنه ويقيمه في مقام العبودية ويخرج من نفسه مزاحمة الربوبية وأعظم الناس اعترافا واستغفارا أعرفهم بربه وبنفسه ولهذا كان أعظم الأمة استغفاراً نبيها ﷺ فكانت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**» وقال: «**يا أيها الناس توبوا إلىٰ ربكم فإني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

والتوبة والاعتراف هي الغاية المطلوبة من العباد ولابد لكل عبد منها وتوبة كل عبد بحسبه فحسنات الأبرار سيئات المقربين والله يحب التوابين ويحب المتطهرين والاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية فكيف

بين حال آدم بعد التوبة وحاله قبل الخطيئة.

وأكثر توبة الخواص من السيئات القلبية والإرادات المزاحمة لمراد الرب منهم ومن ترك الحسنات ومن الاشتغال بحسنة عما هو أكبر منها ومن غفلتهم عن شهود المنة في الحسنات.

وغالب توبة العوام من السيئات البدنية والشبهات المتعلقة بها فأعلى الناس مرتبة من لم تضله الشبهات ولم تغوه الشهوات

كما قال تعالى عن نبيه ﷺ: **«ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى»**.

(مسألة السماع) (٣٦٠)

(٧)

البلــد الحــرام

اختـار الله تعالـىٰ مـن الأماكـن والبـلاد خيرهـا وأشـرفها وهـي البلـد الحـرام فإنـه سبحانه اختـاره لنبيـه ﷺ وجعلـه مناسـك لعبـاده وأوجـب عليهـم الإتيـان إليـه مـن القـرب والبعـد مـن كل فـج عميـق فـلا يدخلونـه إلا متواضعين متخشـعين متذلليـن كاشـفين رؤوسـهم متجرديـن مـن لبـاس الدنيـا.

وجعلـه حرمـاً آمنـا لا يسـفك فيـه دم، ولا تعضـد بـه شـجرة، ولا ينفـر لـه صيـد، ولا يختلـىٰ خـلاه ولا تلتقـط لقطتـه للتمليـك بـل للتعريـف ليـس إلا، وجعـل قصـده مكفـراً لمـا سـلف مـن الذنـوب، ماحيـا لـلأوزار، حاطـا للخطايـا.

فلـو لـم يكـن البلـد الأميـن خيـر بـلاده، وأحبهـا إليـه، ومختـاره مـن البـلاد؛ لمـا جعـل عرصاتهـا مناسـك لعبـاده فـرض عليهـم قصدهـا، وجعـل ذلـك مـن آكـد فـروض الإسـلام، وأقسـم بـه في كتابـه العزيـز في موضعيـن منـه ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ وقـال تعالـىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

وليـس علـىٰ وجـه الأرض بقعـة يجـب علـىٰ كل قـادر السـعي إليهـا والطـواف بالبيـت الـذي فيهـا غيرهـا، وليـس علـىٰ وجـه الأرض موضـع يشـرع تقبيلـه واسـتلامه، وتحـط الخطايـا والأوزار فيـه غيـر الحجـر الأسـود، والركـن اليمـاني. وثبـت عـن النبـي ﷺ **«أن الصـلاة في المسـجد الحـرام بمائة ألـف صلاة»**.

وفي المسند والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عدي أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول: **«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»**.

ومن خصائصها كونها قبلة لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها. ويحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر البقاع والمسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض وأخبر الله تعالى أنها أم القرى.

وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين، ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس، أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطرا، بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقا.

(زاد المعاد) (٤٧/١)

(٨)

وآمركم بالصيام

روىٰ الإمام أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله سبحانه أمر يحيىٰ بن زكريا بخمس كلمات..**» الحديث وفيه: «**وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**».

إنما مثل النبي ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسهم والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث؛ فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم.

هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب ففي الحديث الصحيح: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس**

لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»، وفي الحديث: «رب صائمٍ حظه من صيامه الجوع والعطش». فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم.

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم، هل هي في الدنيا، أو في الآخرة وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم. قال عثمان بن عفان: ما عمل رجلُ عملا إلا ألبسه الله تعالى ردائه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

(صحيح الوابل الصيب) (٥٤)

(٩)

التوبـــة

إذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتىٰ يقول عدو الله يا ليتني تركته ولم أوقعه،

وهذا معنىٰ قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا وجلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالىٰ ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتىٰ يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.

ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها علىٰ ربه ويتكبر بها ويرىٰ نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول: فعلت وفعلت؛ فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله تعالىٰ بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه.

وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالاً، ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلةً يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عَزَّوَجَلَّ وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود إلى الله تعالى عليه ويتداركه برحمته ولا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها:

حب كامل، وذل تام ومنشأ هذين هما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام.

(صحيح الوابل الصيب) (١٤)

(١٠)

فتـح مكـة

في رمضان كان فتح مكة الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدىٰ للعالمين من أيدي الكفار والمشركين وهذا الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه علىٰ مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا.

خرج له رسول الله ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن سنة ثمان لعشر مضين من رمضان واستعمل علىٰ المدينة أبارهم الغفاري وقال ابن سعد بل استعمل عبدالله بن أم مكتوم

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر علىٰ ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي، بنية: أمركن رسول الله ﷺ بتجهيزه؟ قالت: نعم، فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري.

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلىٰ مكة فأمرهم بالجد والتجهيز وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتىٰ نبغتها في بلادها.

ثم مضىٰ رسول الله ﷺ وهو صائم، والناس صيام حتىٰ إذا كانوا بالكديد -وهو الذي تسميه الناس اليوم قديدا- أفطر وأفطر الناس معه.

ثم مضى حتى نزل مر الظهران، ومعه عشرة آلاف وعمى الله الأخبار عن قريش فهم على وجل وارتقاب، وقال أبو هريرة: أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة... ثم نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت وفي يده قوس وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنمًا فجعل يطعنها بالقوس ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ والأصنام تتساقط على وجوها وكان طوافه على راحلته ولم يكن محرما يومئذ ثم دخل الكعبة وصلى فيها ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فكان مما قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

(زاد المعاد) (٣/٣٤٧)

(١١)

في هديه ﷺ في الذكر

كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته، وأحكامه وأفعاله، ووعده ووعيده ذكرًا منه له، وثناؤه عليه بآلائه، وتمجيده وحمده، وتسبيحه ذكرًا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه، ورغبته ورهبته ذكرًا منه له، وسكوته وصمته ذكرًا منه له بقلبه، فكان ذاكرًا لله في كل أحيانه، وعلىٰ جميع أحواله، وكان ذكره لله يجري علىٰ أنفاسه، قائمًا وقاعدًا وعلىٰ جنبه، وفي مشيه وركوبه ومسيره، ونزوله وظعنه وإقامته».

وكان إذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**».

وكان إذا خرج من بيته يقول: «**بسم الله توكلت علىٰ الله اللهم أني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي**».

وقال ﷺ، من قال إذا خرج من بيته: «**بسم الله توكلت علىٰ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت ووقيت وتنحىٰ عنه الشيطان**».

وذكر أبو داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم فإذا قال ذلك**

قال الشيطان: حفظ منى سائر اليوم».

وكان إذا صلى الصبح جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس يذكر الله عَزَّوَجَلَّ وقال له أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: قل: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم» قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» وقال ﷺ: من قال حين يصبح وحين يمسي: «سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أوزاد عليه».

وقال ﷺ: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

(زاد المعاد) (٢/٣٣٢)

(١٢)

نعيـم الجنـة

قـال الله تعالـىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

تأمـل كيـف قابـل مـا أخفـوه مـن قيـام الليـل بالجـزاء الـذي أخفـاه لهـم ممـا لا تعلمـه نفـس وكيـف قابـل قلقهـم وخوفهـم واضطرابهـم علـىٰ مضاجعهـم حيـن يقومـون إلـىٰ صـلاة الليـل بِقُـرّةِ الأعيـن في الجنـة.

وفي الصحيحيـن مـن حديـث أبـي هريـرة قـال رسـول الله ﷺ: قـال الله عَزَّوَجَلَّ: «**أعـددت لعبـادي الصالحيـن مالاعيـن رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر علىٰ قلـب بشـر**»، مصـداق ذلـك في كتـاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، وفي الصحيحيـن مـن حديـث أبـي هريـرة قـال رسـول الله ﷺ: «**لقـاب قـوس أحدكـم في الجنـة خيـر ممـا طلعـت عليـه الشـمس أو تغـرب**».

وكيـف يقـدر قـدر دار غرسـها الله بيـده وجعلهـا مقـرا لأحبابـه وملأهـا مـن رحمتـه وكرامتـه ورضوانـه، ووصـف نعيمهـا بالفـوز العظيـم وملكهـا بالملـك الكبيـر، وأودعهـا جميـع الخيـر بحذافيـره وطهرهـا مـن كل عيـب ونقـص.

فـإن سـألت عـن أرضهـا وتربتهـا فهـي المسـك والزعفـران، وإن سـألت عـن سـقفها فهـو عـرش الرحمـن، وإن سـألت عـن ملاطها فهـو المسـك الأذفر،

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلىٰ من العسل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفىٰ، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه فيتجلىٰ لهم الرب تبارك وتعالي يضحك إليهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

فحي علىٰ جنات عدن فإنها   منازلك الأولىٰ وفيها المخيم

(تقريب حادي الأرواح) (٢٥٠)

(١٣)

عبوديــة الجــوارح

لله تعالـىٰ في كل جارحـة مـن جـوارح العبـد عبوديـة تخصـه، وطاعـة مطلوبـة منهـا، خلقـت لأجلهـا وهيئـت لهـا والنـاس بعـد ذلـك **ثلاثة أقسام**:

أحدها: مـن استعمل تلـك الجـوارح فيمـا خلقـت لـه وأريـد منهـا، فهـذا هـو الـذي تاجـر مـع الله بأربـح التجـارة وبـاع نفسـه لله بأربـح البيـع، والصـلاة وضعـت لاستعمال الجـوارح جميعهـا في العبوديـة تبعًـا لقيـام القلـب بهـا.

الثاني: مـن استعملها فيمـا لـم تخلـق لـه، ولـم يخلـق لهـا، فهـذا الـذي خـاب سـعيه وخسـرت تجارتـه، وفاتـه رضـىٰ ربـه عنـه وجزيـل ثوابـه وحصـل علـىٰ سـخطه وأليـم عقابـه.

الثالث: مـن عطـل جوارحـه وأماتهـا بالبطالـة، فهـذا أيضًـا خاسـر أعظـم خسـارة، فـإن العبـد خلـق للعبـادة والطاعـة لا للبطالـة، وأبغـض الخلـق إلـىٰ الله البطـال الـذي لا في شـغل الدنيـا ولا في سـعي الآخـرة، فهـذا كَلٌّ علـىٰ الدنيـا والديـن.

فالأول: كرجـل أقطـع أرضًـا واسـعة وأعيـن بـآلات الحـرث والبـذار، وأعطـي مـا يكفيهـا لسـقيها، فحرثهـا وهيأهـا للزراعـة وبـذر فيهـا مـن أنـواع الغـلال، وغـرس فيهـا مـن أنـواع الثمـار والفواكـه المختلفـة الأنـواع، ثـم لـم يهملهـا بـل أقـام عليهـا الحـرس وحصنهـا مـن المفسـدين وجعـل يتعاهدهـا

كل يوم فيصلح ما فسد منها، ويغرس عوض ما يبس وينفي دغلها ويقطع شوكها، ويستعين بمغلها على عمارتها.

والثاني: بمنزلة رجل أخذ تلك الأرض فجعلها مأوىٰ للسباع والهوام ومطرحًا للجيف والأنتان، وجعلها معقلاً يأوي إليه كل مفسد ومؤذ ولص، وأخذ ما أُعين به علىٰ بذارها وصلاحها، وصرفه معونة ومعيشة لمن فيها من أهل الشر والفساد.

والثالث: بمنزلة رجل عطلها وأهملها وأرسل ذلك الماء ضائعًا في القفار والصحاري فقعد مذمومًا محسورًا. فهذا مثال أهل الغفلة، والذي قبله مثال أهل الخيانة والجناية،

والأول مثال أهل اليقظة والاستعداد لما خلقوا له.

(مسألة السماع) (١١٢)

(١٤)

تـدبر القرآن وتفهمه

إذا صارت معاني القرآن مكان الخواطر من قلب العبد وهي الغالبة عليه بحيث يصير إليها مفزعه وملجؤه تمكن حينئذ الإيمان من قلبه وجلس علىٰ كرسيه وصار له التصرف وصار هو الآمر المطاع أمره فحينئذ يستقيم له سيره ويتضح له الطريق

فإن قلت: إنك قد أشرت إلىٰ مقام عظيم فافتح لي بابه واكشف لي حجابه وكيف تدبر القرآن وتفهمه والإشراف علىٰ عجائبه وكنوزه، وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا فهل في البين غير ما ذكروه؟.

قلت: سأضرب لك أمثالاً تحتذي عليها وتجعلها إماماً لك في هذا المقصد، قال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾.

فعهدي بك إذا قرأت هذه الآيات وتطلعت إلىٰ معناها وتدبرتها فإنما تطلع منها علىٰ أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة أضياف يأكلون وبشروه بغلام عليم، وأن امرأته عجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك. ولم يجاوز تدبرك غيرك.

فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من الأسرار. وكم قد تضمنت من أنواع الثناء علىٰ إبراهيم، وكيف جمعت الضيافة وحقوقها،وكيف

يراعى الضيف وما تضمنت من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة، وكيف تضمنت عَلماً عظيماً من أعلام النبوة، وكيف تضمنت جميع صفات الكمال التي مردها إلى العلم والحكمة.

وكيف أشارت إلى دليل إمكان المعاد بألطف إشارة وأوضحها ثم أفصحت بوقوعه وكيف تضمنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله وعلى اليوم الأخر.

(الرسالة التبوكية) (٧١)

(١٥)

من حكم مشروعية الزكاة

أوجب الشارع الزكاة مواساة للفقراء وطهرة للمال وعبودية للرب وتقربًا إليه بإخراج محبوب العبد له وإيثار مرضاته ثم فرضها على أكمل الوجوه وأنفعها للمساكين، وأرفقها بأرباب الأموال؛ ولم يفرضها في كل مالٍ، بل فرضها في الأموال التي تحتمل المواساة، ويكثر فيها الربح والدر والنسل، ولم يفرضها فيما يحتاج العبد إليه من ماله ولا غنىٰ له عنه كعبيده وإمائه ومركوبه وداره وثيابه وسلاحه،

بل فرضها في أربعة أجناسٍ من المال: المواشي، والزروع والثمار، والذهب والفضة، وعروض التجارة؛ فإن هذه أكثر أموال الناس الدائرة بينهم، وعامة تصرفهم فيها، وهي التي تحتمل المواساة، دون ما أسقط الزكاة فيه،

ثم قسم كل جنسٍ من هذه الأجناس بحسب حاله وإعداده للنماء إلىٰ ما فيه الزكاة وإلىٰ ما لا زكاة فيه، فقسم المواشي إلىٰ قسمين: سائمةٍ ترعىٰ بغير كلفةٍ ولا مشقةٍ ولا خسارةٍ فالنعمة فيها كاملة والمنة فيها وافرة والكلفة فيها يسيرة والنماء فيها كثير؛ فخص هذا النوع بالزكاة، وإلىٰ معلوفةٍ بالثمن أو عاملةٍ في مصالح أربابها في دواليبهم وحروثهم وحمل أمتعتهم؛ فلم يجعل في ذلك زكاةً لكلفة العلوفة وحاجة المالكين إلىٰ

العوامل فهي كثيابهم وإمائهم وعبيدهم وأمتعتهم.

فانظر إلىٰ تناسب هذه الشريعة الكاملة التي بهر العقول حسنها وكمالها، وشهدت الفطر بحكمتها، ثم لما كانت المواساة لا تحتمل كل يومٍ ولا كل شهرٍ، إذ فيه إجحاف بأرباب الأموال جعلها كل عامٍ مرةً كما جعل الصيام كذلك،

وإذا تأمل العاقل مقدار ما أوجبه الشارع في الزكاة وجده مما لا يضر المخرج فقده، وينفع الفقير أخذه، ورآه قد راعىٰ فيه حال صاحب المال وجانبه حق الرعاية، ونفع آخذيه ، وراعى في المستحقين لها أمرين مهمين :

أحدهما: حاجة الآخذ. والثاني: نفعه.

فجعل المستحقين لها نوعين: نوعًا يأخذ لحاجته، ونوعًا يأخذ لنفعه، وَحَرَّمَهَا علىٰ من عداهما.

(إعلام الموقعين) (٢/٣٣٣)

(١٦)

أحوال الدعاء مع البلاء

الأدعية والتعوذات كالسلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به والساعد ساعداً قوياً والمانع مفقوداً حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر ومن هذا يتبين أهمية هذه الأمور الثلاثة التي حري بالعبد أن يتحراها في الدعاء

وللدعاء مع البلاء ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالثة: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسر أي يتعب ويسأم ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يستجب لي**».

ولما كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه كانوا أقوم بالدعاء بشروطه وآدابه من غيرهم وكان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يستنصر به على عدوه وكان يقول لأصحابه: لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء، وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة معه ولكن هم الدعاء فإن ألهمتم الدعاء فإن الإجابة معه.

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة فإن الله سبحانه يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾، وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**» وهذا يدل على أن رضائه في سؤاله وطاعته وإذا رَضِيَ الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فكل خير في رضاه».

(الجواب الكافي) (٢٥)

(١٧)

غزوة بدر الكبرى

بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة وكانوا نحو أربعين رجلا وفيها أموال عظيمة لقريش فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالًا بليغًا لأنه خرج مسرعا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان وكان معهم سبعون بعيرًا يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة... وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه، فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه. وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش استشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيًا فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم ثالثًا ففهمت الأنصار أنه

يعنيهم فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تعرض بنا، وكان إنما يعنيهم لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم فلما عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم فقال سعد بن معاذ: (فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت) إلى أن قال: (فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك...) فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسر بما سمع من أصحابه وقال: «**سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين وإني قد رأيت مصارع القوم**» .... فلما طلع المشركون وتراءى الجمعان قال رسول الله ﷺ قال اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها جاءت تحادك وتكذب رسولك وقام ورفع يديه واستنصر ربه وقال: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك**» فالتزمه الصديق من ورائه وقال: **يا رسول الله أبشر فو الذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك**» واستنصر المسلمون الله واستغاثوه وأخلصوا له وتضرعوا إليه فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وأوحى الله إلى رسوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ثم ارتحل ﷺ مؤيدا منصورا قرير العين بنصر الله له.

(زاد المعاد) (١٥٣/٣)

(١٨)

حسن الظن بالله تعالى

حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه أنه يجازيه على أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**».

واتكال بعض الناس على قوله ﷺ حاكيًا عن ربه: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» يعني ما كان في ظنه فإني فاعله به ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته.

وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، قال الحسن البصري: «إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل».

وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه متعرض للعنته قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه،

وهان نهيه عليه فارتكبه وأصر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة، وعادىٰ أولياءه، ووالىٰ أعداءه، وجحد صفات كماله، وأساء الظن بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر.

فتأمل هذا الوضع، وتأمل شدة الحاجة إليه، وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بأنه ملاق الله، وأن الله يسمع كلامه ويرىٰ مكانه، ويعلم سره وعلانيته، ولا تخفىٰ عليه خافية من أمره، وأنه موقوف بين يديه، ومسؤول عن كل ما عمل، وهو مقيم علىٰ مساخطه مضيع لأوامره، معطل لحقوقه، وهو مع هذا يحسن الظن به، وهل هذا إلا خداع النفوس، وغرور الأماني

وقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ما ظنكم أن يفعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

(الجواب الكافي) (٤٦)

(١٩)

السجــود

شـرع السـجود علـىٰ أكمـل الهيئـة وأبلغهـا في العبوديـة وأعمهـا لسـائر الأعضـاء بحيـث يأخـذ كل جزء مـن البـدن بحظـه مـن العبودية، والسـجود سـر الصـلاة وركنهـا الأعظـم وخاتمـة الركعـة ومـا قبلـه مـن الأركان كالمقدمـات له فهـو شـبه طـواف الزيـارة في الحـج فإنـه مقصـود الحـج ومحـل الدخـول علـىٰ الله وزيارتـه ومـا قبلـه كالمقدمـات لـه ولهـذا «أقـرب مـا يكـون العبـد مـن ربـه وهـو سـاجد» «رواه مسـلم».

وأفضـل الأحـوال لـه حـال يكـون فيهـا أقـرب إلـىٰ الله ولهـذا كان الدعـاء في هـذا المحـل أقـرب إلـىٰ الإجابـة.

قـال مسـروق لسـعيد بـن جبيـر: «مـا بقـىٰ شـيء يرغـب فيـه إلا أن نعفـر وجوهنـا في الـتراب لـه» وكان النبـي ﷺ لا يتقـي الأرض بوجهـه قصـدًا بـل إذا اتفـق لـه ذلـك فعلـه ولذلـك سـجد في المـاء والطيـن.

ولهـذا كان مـن كمـال السـجود الواجـب أنـه يسـجد علـىٰ الأعضـاء السـبعة الوجـه واليديـن والركبتيـن وأطـراف القدميـن، فهـذا فـرض أمـر الله بـه ورسـوله وبلغـه الرسـول أمتـه.

ولذلـك إذا رأىٰ الشـيطان ابـن آدم سـاجداً لله اعتـزل ناحيـة يبكـي ويقـول: **«يـا ويلـه! أمـر ابـن آدم بالسـجود فسـجد، فلـه الجنة، وأمـرت بالسـجود فعصيت، فلـي النار».**

ولذلك أثنى الله سبحانه على الذين يخرون سجدا عند سماع كلامه وذم من لا يقع ساجدا عنده وأخبر سبحانه عن سجود جميع المخلوقات له فقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

والسجود أفضل أركان الصلاة الفعلية وسرها الذي شرعت لأجله وكان تكرره في الصلاة أكثر من تكرر سائر الأركان وشرع فيه من الثناء على الله ما يناسبه وهو قول العبد سبحان ربي الأعلى فهذا أفضل ما يقال فيه وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد الذي قد انحط إلى السفل على وجهه فذكر علو ربه في حال سقوطه.

(كتاب الصلاة) (١٣٧)

(٢٠)

الاعتكـــاف

لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفًا على جمعيته على الله، ولَمِّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثا، ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة.

وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فَيُعِدُّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور

حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم، شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم وهو العشر الأخير من رمضان، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطرا قط، بل قد قالت عائشة: «**لا اعتكاف إلا بصوم**».

ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله ﷺ إلا مع الصوم. فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية.

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتىٰ توفاه الله عَزَّوَجَلَّ، وتركه مرة، فقضاه في شوال. واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير، فداوم علىٰ اعتكافه حتىٰ لحق بربه عَزَّوَجَلَّ.

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عَزَّوَجَلَّ... تحصيلا لمقصود الاعتكاف وروحه، عكس ما يفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عشرة ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الأحاديث بينهم، فهذا لون والاعتكاف النبوي لون.

(زاد المعاد) (٢/٨٢)

(٢١)

قيــام الليــل

اختلف السلف والخلف في أنه: هل كان قيام الليل فرضا على النبي ﷺ أم لا؟ والطائفتان احتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ قالوا: فهذا صريح في عدم الوجوب، قال الآخرون: أمره بالتهجد في هذه السورة، كما أمره في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ولم يجئ ما ينسخه عنه.

ولم يكن ﷺ يدع قيام الليل حضراً ولا سفرا وكان إذا غلبه نوم أو وجع صلىٰ من النهار ثنتي عشرة ركعة، وكان قيامه ﷺ بالليل إحدىٰ عشرة ركعة أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة فإنه ثبت عنهما هذا وهذا.

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «**ما صلىٰ رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل علي، إلا صلىٰ أربع ركعات، أو ست ركعات، ثم يأوي إلىٰ فراشه**». وقال ابن عباس لما بات عنده: «**صلىٰ العشاء، ثم جاء، ثم صلىٰ، ثم نام**» ذكرهما أبو داود. وكان إذا استيقظ، بدأ بالسواك، ثم يذكر الله تعالىٰ، ثم يتطهر، ثم يصلي ركعتين خفيفتين،

وكان يقوم تارة إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ وهو الديك وهو إنما يصيح في النصف الثاني،

وكان يقطع ورده تارة، ويصله تارة وهو الأكثر، ويقطعه كما قال ابن عباس في حديث مبيته عنده، وكان قيامه ووتره أنواعا، فمنها هذا الذي ذكره ابن عباس أنه ﷺ استيقظ، فتسوك، وتوضأ، وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. فقرأ هؤلاء الآيات حتىٰ ختم السورة، ثم قام فصلىٰ ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف، فنام حتىٰ نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ، ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، فأذن المؤذن، فخرج إلىٰ الصلاة.

النوع الثاني: الذي ذكرته عائشة، أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم يتم ورده إحدىٰ عشرة ركعة ثم يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة... **وكانت صلاته بالليل ثلاثة أنواع:**

- **أحدها:** وهو أكثرها صلاتة قائمًا،
- **الثاني:** أنه كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا،
- **الثالث:** أنه كان يقرأ قاعدا فإذا بقىٰ يسير من قراءته قام فركع قائمًا والأنواع الثلاثة صحت عنه، وكان ﷺ يسر بالقراءة في صلاة الليل تارة ويجهر بها تارة ويطيل القيام تارة ويخففه تارة ويوتر آخر الليل وهو الأكثر وأوله تارة وأوسطه تارة.

(زاد المعاد) (١/٣١١)

(٢٢)

استمـــاع القـــرآن

قـال الله تعالـىٰ: «﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فذكر سبحانه أن استماع القرآن سبب الرحمة فالرحمة تنزل علىٰ أهل استماعه وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**».

وقد ذكر سبحانه في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

ولا ريب أن من السماع ما تتنزل الرحمة علىٰ أهله فيه، ومنه ما تتنزل عليهم فيه اللعنة ومنه ما لا يتنزل عليه فيه رحمة ولا لعنة وهذا بحسب المسموع في نفسه ومرتبته في الخير والشر والحمد والذم، وإذا تأمل العاقل الأثر الذي يحصل عند سماع الآيات والأثر الذي يحصل عند سماع الأبيات تبين له عند أي الأثرين تنزل الرحمة. وسمع رجل قارئًا يقرأ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ فكانت سبب توبته وإقباله، وسمع آخر قارئًا

يقرأ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فبكىٰ وقال: لقد خاب وشقي من ضاقت عليه جنة عرضها السموات والأرض ولم يكن له فيها مقعدًا وسمع آخر قارئًا يقرأ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾، فقال: ومن أحوج أصدق الصادقين أن يقسم».

وسمع آخر قارئا يقرأ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ فقال انظروا إلىٰ كرمه أعطىٰ عبيده ماله ثم استقرضه منهم لهم ثم رده عليهم مضاعفا أضعافا كثيرة وزادهم عليه أجرا كريما.

وسمع آخر قارئًا يقرأ: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ فقال: سبحان من سكن قلوب المشتاقين إلىٰ لقائه بِأن ضرب لهم أجلا للقاء وأعلمهم بأن ذلك الأجل آت لا محالة فسكنت إليه نفوسهم واطمأنت به قلوبهم ولو لم يضرب للقائه أجلا لذابت قلوبهم شوقًا إليه.

(مسألة السماع) (٣٤٧)

(٢٣)

انشــراح الصــدر

قــال الله تعالــىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ...﴾ والحـرج هـو الشـديد الضيـق في قـول أهـل اللغـة جميعهـم يقـال: رجـل حـرج أي ضيـق الصـدر.

وقـال عبيـد بـن عميـر: قـرأ بـن عبـاس هـذه الآيـة فقـال: هـل هنـا أحـد مـن بني بكـر قـال رجـل: نعـم، قـال: مـا الحرجـة فيكـم؟ قالـوا: الـوادي الكثير الشـجر الـذي لا طريـق فيـه، فقـال ابـن عبـاس: كذلـك قلـب الكافـر.

وقـرا عمـر بـن الخطـاب الآيـة فقـال: ايتـوني برجـل مـن كنانـة واجعلـوه راعيًـا فأتـوه بـه فقـال عمـر: يـا فتـىٰ مـا الحرجـة فيكـم؟ فقـال: الشـجرة تحـدق بهـا الأشـجار الكثيـرة فـلا تصـل إليهـا راعيـة ولا حشـية، فقـال عمـر: كذلـك قلـب الكافـر لا يصـل إليـه شـيء مـن الخيـر.

قـال ابـن عبـاس: يجعـل صـدره ضيقًـا حرجـا إذا سـمع ذكـر الله اشـمأز قلبـه وإن ذكـر شـيء مـن عبـادة الأصنـام ارتـاح إلـىٰ ذلـك، ولمـا كان القلـب محـلًا للمعرفـة والعلـم والمحبـة والإنابـة وكانـت هـذه الأشـياء إنمـا تدخـل في القلـب إذا اتسـع لهـا فـإذا أراد الله هدايـة عبـد وسـع صـدره وشـرحه فدخلـت فيـه وسـكنته وإذا أراد إضلالـه ضيـق صـدره وأحرجـه فلـم يجـد محـلًا يدخـل

فيه فيعدل عنه ولا يساكنه وكل إناء فارغ إذا دخل فيه الشيء ضاق به وكلما أفرغت فيه الشيء ضاق إلا القلب اللين فكلما أفرغ فيه الإيمان والعلم اتسع وانفسح وهذا من آيات قدرة الرب تعالىٰ وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «إذا دخل النور القلب انفسح و انشرح، قالوا: فما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الإنابة إلىٰ دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله**»» فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدىٰ وتضييقه من أسباب الضلال كما أن شرحه من أَجَلِّ النعم وتضييقه من أعظم النقم.

فالمؤمن منشرح الصدر منفسحه في هذه الدار علىٰ ما ناله من مكروهها وإذا قوي الإيمان وخالطت بشاشته القلوب كان علىٰ مكارهها أشرح صدراً منه علىٰ شهواتها ومحابها فإذا فارقها كان انفساح روحه والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير كحال من خرج من سجن ضيق إلىٰ فضاء واسع موافق له فإنها سجن المؤمن.

(شفاء العليل) (٤٣٩)

(٢٤)

من آثار رحمة الله تعالى

انظر إلىٰ ما في الوجود من آثار رحمة الله تعالىٰ الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمىٰ وأرشدنا من الغي وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض، وجعلها مهاداً وفراشاً وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعىٰ، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وأوصل إلىٰ خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته، وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوىٰ علىٰ عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيء، ولما استوىٰ علىٰ عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمىٰ به دون خلقه، كتب بمقتضاه علىٰ نفسه

يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتابا، فهو عنده وضعه على عرشه أن رحمته سبقت غضبه، وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم، والمغفرة والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة، فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر، وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالها، فبرحمته خلقت، وبرحمته عمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها فبها تعطف الوالدة على ولدها والطير والوحش والبهائم وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه

(مختصر الصواعق المرسلة) (٢/٣٠٣)

(٢٥)

تأثير آيات القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

والناس ثلاثة:

الأول: رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له فهذا ليست هذه الآية ذكرىٰ في حقه

الثاني: رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة إما لعدم ورودها أو وصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها فهو غائب القلب ليس حاضراً فهذا أيضا لا تحصل له الذكرىٰ مع استعداده ووجود قلبه،

والثالث: رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغىٰ بسمعه وألقىٰ السمع وأحضر قلبه ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه فهو شاهد القلب ملقٍ السمع فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمىٰ الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلىٰ غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدق إلىٰ جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله علىٰ توسطٍ من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه.

فسبحان من جعل كلامه شفاءً لما في الصدور.

فإنه قيل: فما وقع أو في قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ من هذا النظم علىٰ ما قررت؟ قيل: فيها سر لطيف، ولسنا نقول إنها بمعنىٰ الواو كما يقوله ظاهريه النحاة.

فاعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه علىٰ التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورًا علىٰ نور، وهؤلاء أكمل خلق الله، وأعظم إيمانًا وبصيرةً، حتىٰ كأن الذي أخبرهم به الرسول ﷺ مشاهد لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه، فصاحب هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد بها نورًا إلىٰ نوره فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقىٰ السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكر أيضًا ﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞ﴾ والوابل والطل في جميع الأعمال وآثارها وموجباتها.

(مدارج السالكين) (٢/٢٠)

(٢٦)

إخفـاء الدعـاء

قولـه تعالـىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ يتنـاول نوعـي الدعـاء دعـاء العبـادة ودعـاء المسـألة لكنـه ظاهـر في دعـاء المسـالة متضمـن دعـاء العبـادة ولهـذا أمـر بإخفائـه وإسـراره.

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنـه أعظـم إيمانًـا لأن صاحبـه يعلـم أن الله تعالـىٰ يسـمع دعائـه الخفـي وليـس كالـذي قـال: إن الله يسـمع إن جهرنـا ولا يسـمع إن أخفينـا.

ثانيها: أنــه أعظــم في الأدب والتعظيــم ولهــذا لا تخاطــب الملــوك ولا تسـأل برفـع الأصـوات وإنمـا تخفـض عندهـم الأصـوات.. ولله المثل الأعلىٰ فـإذا كان يسـمع الدعـاء الخفـي فـلا يليـق بـالأدب بيـن يديـه إلا خفـض الصوت بـه.

ثالثها: أنــه أبلــغ في التضــرع والخشــوع الــذي هــو روح الدعــاء ولبــه ومقصـوده. فـإن الذليـل الضـارع إنمـا يسـأل مسـألة مسـكين ذليـل قـد انكسـر قلبـه. وذلـت جوارحـه وخشـع صوتـه.. فقلبـه قلـب سـائل طالـب مبتهـل ولسـانه لشـدة ذلـه وضراعتـه ومسـكنته سـاكت وهـذه الحالـة لا يتأتـىٰ معهـا رفـع الصـوت بالدعـاء أصـلاً.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله تعالى في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه ويشوشه.

سادسها: وهو من النكت السرية البديعة جداً- أنه دال على قرب صاحبه من الله وأنه لاقترابه منه وشده حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه فيساله مسألة مناجاة القريب للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد

سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكل لسانه وتضعف بعض قواه. وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعاً صوته فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

ثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل هناك تشويش ولا غيره والدعاء ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه فالذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحًا بالسؤال فهو داع بما تضمنه ثنائه من التعرض والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه .

(بدائع الفوائد) (٧/٣)

(٢٧)
الأسماء الحسنى والصفات العلى وآثارها

الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضائها لآثارها من الخلق والتكوين فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي علىٰ القلب والجوارح.

فعلم العبد بتفرد الرب بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا وظاهرًا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالىٰ وبصره وعلمه أنه لا يخفىٰ عليه مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض، وأنه يعلم السر وأخفىٰ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته، توجب له سعة الرجاء وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه، تثمر له الخضوع

والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة؛ هي موجباتها،

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلىٰ؛ يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلىٰ مقتضىٰ الأسماء والصفات، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها.

فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها؛ لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم، ولا تشينه معصيتهم، وتأمل قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **«يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»**، ذكر هذا عقب قوله: **«يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم»**.

(مفتاح دار السعادة) (١٢٧/٢)

(٢٨) الإحسان مع الخوف

وصف الله سبحانه أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن. ومن تأمل أحوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وجدهم في غاية الجد في العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير، بل التفريط والأمن، فهذا الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن**».

ذكره أحمد عنه، وذكر عنه أيضا أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، وكان يبكي كثيراً، ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا. وكان إذا قام إلىٰ الصلاة كأنه عود من خشية الله عَزَّوَجَلَّ وأتي بطائر فأخذ يقلبه ثم قال: ما صيد من صيد، ولا قطعت من شجرة، إلا بما ضيعت من التسبيح، ولما احتضر قال لعائشة: يا بنية، إني أصبت من مال المسلمين هذا العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعي به إلىٰ ابن الخطاب، وقال: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد.

وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: ليتني خضرة تأكلني الدواب، وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلىٰ أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ فبكىٰ واشتد بكاؤه حتىٰ مرض وعادوه. وقال لابنه وهو في سياق الموت: ويحك ضع خدي علىٰ الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال: ويل أمي، إن لم يغفر الله لي (ثلاثا)، ثم قضىٰ.

وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه العبرة فيبقىٰ في البيت أياما ويعاد، ويحسبونه مريضا، وكان في وجهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس، مصر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل وفعل، فقال: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر.

وهذا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا وقف علىٰ القبر يبكي حتىٰ تبتل لحيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلىٰ أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلىٰ أيتهما أصير.

وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبكاؤه وخوفه، وكان يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوىٰ، قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوىٰ فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

(الجواب الكافي) (٧٧)

(٢٩)

في هديه ﷺ في العيدين

كان ﷺ يصلي العيدين في المصلىٰ، وهو المصلىٰ الذي علىٰ باب المدينة الشرقي وهو المصلىٰ الذي يوضع فيه محمل الحاج ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة واحدة أصابهم مطر فصلىٰ بهم العيد في المسجد إن ثبت الحديث وهو في سنن أبي داود وابن ماجه، وهديه كان فعلهما في المصلىٰ دائمًا.

وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بردين أخضرين، وكان ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات ويأكلهن وتراً وأما في عيد الأضحىٰ فكان لا يطعم حتىٰ يرجع من المصلىٰ فيأكل من أضحيته، وكان يغتسل للعيدين صح الحديث فيه وفيه حديثان ضعيفان.. ولكن ثبت عن ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة أنه كان يغتسل يوم العيد قبل خروجه.

وكان ﷺ يخرج ماشياً، والعنزة تحمل بين يديه، فإذا وصل إلىٰ المصلىٰ نصبت بين يديه ليصلي إليها، فإن المصلىٰ كان إذ ذاك فضاء لم يكن فيه بناء ولا حائط، وكانت الحربة سترته. وكان يؤخر صلاة عيد الفطر، ويعجل الأضحىٰ، وكان ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة لا يخرج حتىٰ تطلع الشمس، ويكبر من بيته إلىٰ المصلىٰ. وكان ﷺ إذا انتهىٰ إلىٰ

المصلىٰ أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة ولا قول: الصلاة جامعة، والسنة: أنه لا يفعل شيء من ذلك.

ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلىٰ المصلىٰ شيئا قبل الصلاة ولا بعدها.

وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، فيصلي ركعتين، يكبر في الأولىٰ سبع تكبيرات متوالية بتكبيرة الافتتاح، يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة، ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات، ولكن ذكر عن ابن مسعود أنه قال: يحمد الله، ويثني عليه، ويصلي علىٰ النبي ﷺ، ذكره الخلال. وكان ابن عمر مع تحريه للاتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة. وكان ﷺ إذا أتم التكبير أخذ في القراءة، فقرأ فاتحة الكتاب، ثم قرأ بعدها ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ في إحدىٰ الركعتين، وفي الأخرىٰ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾. وربما قرأ فيهما ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾.

فإذا فرغ من القراءة كبر وركع، ثم إذا أكمل الركعة وقام من السجود كبر خمسا متوالية، وكان ﷺ إذا أكمل الصلاة انصرف فقام مقابل الناس والناس جلوس علىٰ صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ورخص لمن شهد العيد أن يجلس للخطبة وأن يذهب ورخص لهم إذا وقع العيد يوم الجمعة أن يجتزئوا بصلاة العيد عن حضور الجمعة وكان ﷺ يخالف الطريق يوم العيد فيذهب في طريق ويرجع في آخر.

(زاد المعاد) (١/٤٢٥)

(٣٠) العبد بين مشاهدة المنة ورؤية عيب النفس

العبد يسير إلىٰ الله سبحانه بين مشاهدة منته عليه ونعمه وحقوقه، وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتفريطه وإضاعته، فهو يعلم أن ربه لو عذبه أشد العذاب لكان قد عدل فيه، وأن أقضيته كلها عدل فيه، وأن ما فيه من الخير فبمجرد فضله ومنته وصدقته عليه ولهذا كان في حديث الاستغفار «**أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي**»، فلا يرىٰ نفسه إلا مقصرا مذنبا ولا يرىٰ ربه إلا محسنا متفضلًا وقد قسم الله خلقه إلىٰ قسمين لا ثالث لهما تائبين وظالمين فقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وكذلك جعلهم قسمين معذبين وتائبين فمن لم يتب فهو معذب ولابد.

قال تعالىٰ: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ وأمر جميع المؤمنين من أولهم وآخرهم بالتوبة ولا يستثنىٰ من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

وعدد سبحانه من جملة نعمه علىٰ خير خلقه وأكرمه عليه وأطوعهم له وأخشاهم له أن تاب عليه وعلىٰ خواص أتباعه فقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ

مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ...﴾ الآية، ثم كرر توبته عليهم فقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقدم توبته عليهم على توبة الثلاثة الذين خلفوا وأخبر سبحانه أن الجنة وعدها أهلها في التوراة والإنجيل يدخلها التائبون فذكر عموم التائبين أولًا ثم خص النبي والمهاجرين والأنصار بها ثم خص الثلاثة الذين خلفوا فعلم بذلك احتياج جميع الخلق إلى توبته عليهم ومغفرته لهم وعفوه عنهم وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه إليه «عفا الله عنك» فهذا خبر منه وهو أصدق القائلين أو دعاء لرسوله بعفوه عنه وهو طلب من نفسه وكان ﷺ يقول في سجوده أقرب ما يكون من ربه: «**أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» وقال لأطوع نساء الأمة وأفضلهن وخيرهن الصديقة بنت الصديق وقد قالت له يا رسول الله: لئن وافقت ليلة القدر فما أدعو به؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**».

قال: الترمذي حديث حسن صحيح.

(شفاء العليل) (٢٦٩)